الفصـل الثالـث

الأبعاد الثقافية للاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة

- أولا : بروز الاهتمام بالأبعاد الثقافية فى دراسات العلاقات الدولية: المؤشرات الأساسية:
- ثانيًا: الاتجاهات الأساسية لإدراك الأبعاد الثقافية للاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة

بات واضحًا أن الأبعاد الثقافية تحتل محورًا أساسيًا فى الاستراتيچية الأمريكية تجاه المنطقة العربية إن لم تكن المدخل الأساسى للهيمنة عليه ولكن السؤال الذى يطرح بهذا الصدد: هو هل هذه الأبعاد الثقافية تمثل غطاءً أيديولوجيًا للمصالح الأمريكية، ومن ثم تقدم تبريرا فكريا لاستخدام القوة العسكرية ومنطق التدخل والاحتلال؟ أم أنها تملك درجة ما من الاستقلالية من جانب، والتكامل من جانب آخر أى أنه يحدث نوع من « تكامل المفاهيم » بين القوة الصلبة والعسكرية مع مفاهيم القوة اللينة والناعمة التى تسعى لاكتساب القلوب والعقول فى سبيل تأكيد ودعم هيمنتها وتحقيق أهداف استراتيجيتها فى المنطقة العربية؟

* * *

أولا: بروز الاهتمام بالأبعاد الثقافية فى دراسات العلاقات الدولية: المؤشرات الأساسية

إذ أنه من اللافت للانتباه أن القضايا الاقتصادية والسياسية قد باتت قضايا تقليدية أمام البزوغ الجديد للقضايا الثقافية والفكرية، التى بدأت تظهر فى أعقاب الحرب الباردة، حيث صار «الثقافى» متغيرًا معترفًا به من المنظور الغربى الذى كان منصبًا ومركزًا على البعد الأمنى العسكرى فى الخمسينيات والستينيات، ثم على البعد الاقتصادى فى السبعينيات والثمانينيات. إلا أنه فى التسعينيات من القرن العشرين حدثت عملية مراجعة شاملة فى دراسات

العلاقات الدولية. هذه النقلة تعتبر من أهم سمات وانعكاسات مرحلة ما بعد الحداثة؛ وثمة إشارات تدل على أن الأبعاد الثقافية قد صارت هى الأبرز على الساحة العالمية للدراسات السياسية والاستراتيچية فى الاهتمام العلمى والأكاديمى والسياسى ومنها :ـ

١ ـ الحروب التى جرت فى البوسنة وكوسوفا والشيشان وأفغانستان خلال العقد الأخير من القرن العشرين والتى شاركت فيها الإدارات الأمريكية بشكل أو بآخر وبرز فيها الطبيعة الثقافية والدينية.

٢ ـ بروز قضية «المرأة والطفولة» ووضعها فى إطار دينى وأخلاقى، ووقوف الكنيسة الكاثوليكية مع جمعيات المجتمع المدنى الإسلامية فى الكثير من المؤتمرات الدولية بهذا الصدد.

٣ ـ صعود اليمين الدينى المسيحى الإنجيلى والصهيونى فى الولايات المتحدة وإسرائيل؛ وبروز قوته المالية والسياسية والتعبوية .

٤ ـ الجدل الكبير الذى ثار «صراع الحضارات» منذ ثارت المقولات التى قدمها صامويل هنتنجتون فى بداية التسعينيات من القرن العشرين والردود المختلفة من العديد من الجهات والتى استمرت بشكل أو بآخر حتى الآن لدرجة أن البعض يرى فى سياسات الإدارة الأمريكية بعض التطبيقات لهذا الأمر...

٥ ـ وجود مؤشرات ملحوظة على تدخل بعض الهيئات الأمريكية فى السياسات والبرامج التعليمية مثل مؤسسة «راند» وغيرها، خاصة فى المواد المتعلقة بالثقافة العامة، مثل الدين والتاريخ واللغة العربية، وقد اعتراف بعض القيادات العربية والإسلامية الفكرية والتنفيذية بذلك بوضوح وصراحة، إذ لا يمكن فصل ذلك عن الإطار الكلى لاستراتيچياتها فى المنطقة..

٦ ـ زيادة تفاعل العالم من خلال ثورة الاتصالات وآثار العولمة والتى تحركت فى اتجاهين يبدوان متناقضين الأول تعزيز التوجه العولمى والتنميط من ناحية، ومن ناحية أخرى بروز الوعى بالمحلية وبالإقليمية وزيادة الوعى بالهوية.

٧ ـ تآكل القــوة المعنوية لدى الغــرب وخـاصــة الولايات المتــحــدة ـ والإدارة الأمريكية الحالية لبوش، ومنطقه الجدى فى تقسيم العالم إلى معسكرى «الأخيار» و«الأشرار». فى الفترة الأخيرة.

٨ ـ تداعيات العولمة بعد نهاية الحرب الباردة، واقترانها بإحياء البعد القيمى والقومى لدى الكثير من الشعوب، وفكرة البحث عن «عدو» جديد خاصة بعد سقوط المعسكر الاشتراكى والشيوعى.

٩ ـ التحديث الاقتصادى الشديد، واتساع الفجوة التكنولوجية بين الشمال والجنوب؛ بين من يعرف ومن لا يعرف.

١٠ ـ تبلور مفهوم «القوة الناعمة» Soft Power؛ وتوظيفه على نطاق واسع فى الكثير من الممارسات السياسية ـ خاصة كغطاء لممارسات القوة الخشنة والفظة Hard Power.

ثانيًا: الاتجاهات الأساسية فى إدراك الأبعاد الثقافية للاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة

تركزت الاتجاهات التى تترجم الإدراك الأمريكى بتنوعاته المختلفة حول هذه القضية البالغة الأهمية « الأبعاد الثقافية فى الاستراتيجية الأمريكية تجاه العالم الإسلامى» إلى الأنواع الأربعة التالية وهى :ـ

* الاتجاه الذى يتناول « الاستراتيجية الأمريكية » كمنطق إمبراطورى، وهيمنة جديدة عالمية على النحو الذى قدمناه فى الفصل السابق.

* الاتجاه الذى يتناول الأبعاد الثقافية فى العلاقات الدولية والنظريات المختلفة المفسرة لها، على النحو الذى نتعرض له فى هذا الفصل.

* الاتجاه الذى يتناول العدوان الأمريكى على العالم المنطقة العربية والإسلامية بعد أحداث سبتمبر على النحو الذى قدمه المفكر الكبير طارق البشرى فى دراسته المنشورة حول العدوان على الأمة.

* الاتجاه الذى يتناول مشاريع الإصلاح والتغيير الثقافى الأمريكى فى المنطقة العربية والإسلامية ـ على النحو الذى تقدمه العديد من الدراسات .

ويمكن أن نتناولها تفصيليًا على النحو التالى :

أولا : ـ الاتجاه الذى يتناول « الاستراتيجية الأمريكية » كمنطق إمبراطورى ، وهيمنة جديدة عالمية : ـ

يرى هذا الاتجاه فى الدراسات أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر كانت عاملاً مسرعًا فقط للتوسع الإمبراطورى الأمريكى ، إذ أنه يفترض بأن هذا التوسع كان دائمًا مسايرًا ومواكبًا للتاريخ الأمريكى . فالقوة أو العسكرة الأمريكية ليست إلا مكونًا أساسيًا من مكونات النموذج الأمريكى ثلاثى العناصر (القوة ـ الثروة ـ الدين/ القيم) ؛ وهو ذلك النموذج الذى أثبت حضوره عبر التاريخ ؛ بيد أن إدارة بوش الابن ـ التى تولت زمام الحكم منذ عام ٢٠٠٠ ـ قامت بتجسيد هذا النموذج بشكل واضح وبارز ، بسبب طبقتها اليمينية المتشددة ، سياسيًا ودينيًا . وقد تجلى هذا التجسيد ـ خاصة ـ فى ظل مرحلة تاريخية ، انعكس فيها التوهج الأمريكى ، حيث صار النموذج الأمريكى نموذجًا منتصرًا ، أو بعبارة أخرى : إمبراطورية ممتدة .

ويؤكد هذا الاتجاه أن الخبرة الأمريكية فى التوسع بناء على قوتها الذاتية التى لم يتوافر مثلها فى أية دولة أوروبية ـ أورثت الإدارات الأمريكية المتعاقبة ـ عبر التاريخ الأمريكى ـ شعوراً بالاختلاف والتميز و«الاستثناء» وهو« لفظ له دلالته فى الفكر الأمريكى» عن القوى الأوروبية فى إطار تعاملها مع الخارج . ففى حين كانت أوروبا تتوسع فى إطار توازن القوى الدولية ، كانت الولايات المتحدة ترى نفسها مساوية للنظام الدولى ؛ بل فوق النظام الدولى ؛ ومن ثم ترى أن مصلحتها القومية هى الأولى على جميع مصالح الدول الأخرى . وهى المصلحة القومية الأمريكية التى تريد الهيمنة على العالم فى ثلاث نواح : عسكريًا ، واقتصاديًا ، وثقافيًا . وبذلك نعود مرة أخرى إلى الثالوث الأمريكى . ويؤكد هذا الاتجاه على أن «الرسالة» الأمريكية هى نفسها المصلحة القومية الأمريكية ؛ والعكس صحيح .

فالولايات المتحدة ترى فى ذاتها القائد الذى سيحرر العالم من خلال السيطرة عليه، بالأدوات الأمريكية الثلاث: الثروة، والقوة، والقيم/ الدين. بلغة أخرى، هى ترى فى ذاتها المخلص الذى سينقذ العالم؛ ومن ثم ترى نفسها ملزمة باستخدام جميع الأساليب والطرق الممكنة من أجل تحقيق هذه الغاية «والرسالة السامية»؛ فمن استخدام القيم إلى استخدام التجارة طواعية، إلى استخدام القوة إذا لزم الأمر. وهى بذلك تتقلد أدواراً ثلاثة: العسكرى، والتاجر، والمبشر. وهى الأدوار ذاتها التى كانت أوروبا تمارسها تجاه العالم فى القرن التاسع عشر قرن السيطرة الاستعمارية المباشرة - إلا أن الفارق بينهما يكمن فى أنه بينما كانت أوروبا تؤدى هذه الأدوار فى ظل توازن دولى بين قوى أوروبية متعددة فإن الولايات المتحدة تؤدى هذه الأدوار وهى خارج لعبة التوازن الدولى؛ وهو ما يعكس المنطق «الإمبراطورى» والنظرة «الاستعلائية» للرؤية الأمريكية تجاه العالم عبر قرنين من الزمان، منذ نشأتها فى القرن الثامن عشر.

ويرى هذا الاتجاه أن الإدارة الأمريكية الحالية - ومنذ أن تسلمت مسئولياتها - تعد تعبيراً عن التيار اليمين المسيحى بشقيه الدينى والسياسى. فهى تعبر عن اليمين السياسى بسياساته الاقتصادية والاجتماعية، وعن اليمين الدينى برؤاه «المانوية» للعالم القائمة على ثنائية الخير والشر، كذلك الالتزام بتحقيق الإرادة الإلهية فى تنقية أمريكا والعالم من الشر. وهى تحمل فى طياتها كلا الاتجاهين: الاتجاه الذى يعود إلى قيادة الرئيس ويلسون المتفاخر باستثنائية أمريكا، والاتجاه الذى يعود لقيادة الرئيس روزفلت المؤيد لاستخدام القوة من أجل تعميم هذه الاستثنائية. بعبارة أخرى فإن الحركة «البندولية» للسياسة الخارجية الأمريكية تراوح بين مبدأين: مبدأ «القوة» الذى أرساه روزفلت، ومبدأ «تمثيل القيم الأمريكية» الذى أرساه ويلسون. وقد يبدو أن هناك فارقًا بين الاتجاهين، إلا أنه ليس جوهريًا؛ فالبعد الاستراتيچى فى نهاية الأمر واحد؛ وهو تحقيق السيادة الأمريكية الكونية، ويوضح هذا الاتجاه أن الحزب الجمهورى يرى أن هدفه الأسمى هو تحقيق المصلحة القومية المباشرة للولايات المتحدة، وأن القيم تأتى تابعة لتلك المصلحة. ومن أهم القيم التى روجت لها الإدارة الأمريكية - بعد

إسدال الستار عن الحرب الباردة ـ السوق« و«الديمقراطية»، مستخدمة هاتين القيمتين فى رسم شكل عالم ما بعد الحرب الباردة على قاعدة الرأسمالية الدولية؛ على أن يتم ذلك فى سياق إعادة تعريف المصلحة القومية الأمريكية بشكل مفصل. بمعنى آخر: أن يفرض على الدول فرضًا اتباع النموذج الأمريكى فى «السوق» وفى «الديمقراطية»؛ وأنه لا يوجد طريق آخر للتحديث والتقدم سوى اتباع الاستثنائية الأمريكية.

وتذكر بعض الكتابات فى هذا الاتجاه أن المهام التى ركزت عليها إدارة بوش الابن من أجل إعادة تحديد المصلحة القومية الأمريكية كان من ضمنها ـ كما قالت كوندوليزا رايس ـ تجديد علاقات قوية ووثيقة مع الحلفاء الذين يشاطروننا القيم الأمريكية، ويمكنهم بالتالى المشاركة فى حمل عبء نشر السلام والازدهار والحرية. « ويوضح هذا الاتجاه أن هذه المهام تعكس تكرارًا للمفاهيم التقليدية التى طالما حرصت الإدارات الأمريكية المتعاقبة على إبرازها والعمل بمقتضاها، وهى أنه هناك «قيما أمريكية» لابد من نشرها بمساعدة الحلفاء الذين ينتمون لهذه القيم؛ مما يعنى ضمنًا وجود قيم أخرى.

والرؤية الأمريكية للعالم يندرج تحتها ـ بجانب تحقيق السيادة فى كافة المجالات، وتحقيق المصلحة القومية الأمريكية بغض النظر عن السبل، والعديد من المدلولات ثقافية؛ مثل تعميم النموذج الأمريكى على الجميع، وتعميم النظرة الأحادية الأمريكية للتاريخ وفرضها على جميع الديانات والقوميات. ومن أجل إنزال هذه الرؤية على أرض الواقع، ستتحرك الإدارة الأمريكية فى ظل ثلاثة محاور: المحور الحضارى الدينى الثقافى، والمحور الجغرافى السياسى، ومحور استخدام القوة بكافة أنواعها.

وتخلص بعض الكتابات فى هذا الاتجاه إلى حقيقة مفادها أن الإدارة الأمريكية تستخدم شعار حرب «الخير والشر» وهوشعار ثقافى وقيمى ودينى لتعبئ الجماهير الأمريكية، وتثير حميتهم تجاه أمنهم القومى «المهدد»، ومن ثم يتحقق لديها المبرر لعسكرة إمبراطوريتها فى أنحاء العالم، والذى سوف يفضى

إلى إنعاش الاقتصاد الأمريكى؛ وهو ما يريده الحزب الجمهورى الحاكم الذى يسعى إلى تأمين الداخل ومن ثم تأمين استقرار حكمه.

ثانيا: الاتجاه الذى يتناول الأبعاد الثقافية فى نظرية العلاقات الدولية والتفسيرات المختلفة لها:

يؤكد هذا الاتجاه من الدراسات على العودة الى التأكيد على الأبعاد الثقافية فى بناء نظريات العلاقات الدولية ومن أبرز الكتاب الغربيين الذين تناولوا هذه الدراسات «جورج فيجل» و«بارى روبين» و«جوناثان فوكس» و«جيف هينز». ونستطيع أن نرصد بايجاز رؤية «جورج فيجل»، رئيس مركز «السياسة والأخلاق العامة»، الذى يؤكد على أن العالم يتجه إلى اللاعلمانية Unsecularization of the world حيث ساد الدين - فى أواخر القرن العشرين - كظاهرة اجتماعية فى جميع أنحاء العالم. ففى الولايات المتحدة نفسها، ظهر المجتمع الأمريكى المتدين بالرغم من توقعات المفكرين العلمانيين بعكس ذلك. وفى الاتحاد السوفييتى السابق، لم يكن للشيوعية أن تسقط إلا من خلال جهود الكنائس الأرثوذكسية، وكذلك الأمر فى بولندا، ورومانيا، وبلغاريا. وفى العالم العربى اندلعت ما عُرف ظاهرة «الإسلام المسلح» - مع تحفظنا على المصطلح - وأكد - والكلام ل«فيجل» - نستطيع أن ندحض المقولة التالية: كلما ازداد التمدن والتحديث ازدادت العلمانية. فالدين له الآن دور فعال على الساحة الدولية؛ ولذلك، فعلينا استثماره فى حل الأزمات السياسية بالوسائل السلمية.

وأما «بارى روبين»، فتتمثل وجهة نظره فى أنه كلما زادت المدنية والثقافة والتعليم، صار الناس أكثر حرصًا وبحثًا على هوية أو أيديولوجية تمثلهم. وكلما زادت الأزمات المصاحبة للمدنية، زاد الطلب على الدين كحل لتلك الأزمات. إن التجربة أظهرت بوضوح أن الدين لا تتضاءل أهميته فى حياة البشر وفى حياة الدول؛ وإنما العكس هو الصحيح. والأمثلة كما يدلل «روبين»:

١ - بزوغ الأصولية الإسلامية الراديكالية «الجذرية» فى كافة أنحاء العالم الإسلامى بل والعالم أجمع. . . .

٢ ـ الممارسات السياسية للمسيحية، وخاصة الكنيسة الكاثوليكية، وتحولها من القوة المناهضة للتغيير إلى قوى مؤيدة لتحقيق الديمقراطية والعدل الاجتماعى من خلال الطرق الثورية والإصلاحية. ولا ننسى أن الكنيسة الكاثوليكية استطاعت الحفاظ على بقائها طيلة الحكم الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى.

وأما «جوناثان فوكس»، فقد انتقد الدراسات النظرية التى أهملت عنصر الدين فى بنائها، ورأى فى ذلك خطراً على مصالح الدول الغربية. وهو يرى أن الدين يؤثر على العلاقات الدولية عبر ثلاثة طرق: ـ

١ ـ تأثر السياسات الخارجية بالتوجهات الدينية لدى صناع القرار

٢ ـ اعتبار الدين مصدراً للشرعية فى تأييد الحكومة أو سحب الثقة منها.

٣ ـ تخطى الأمور الدينية المحلية للحدود الدولية، ومن ثم تحولها إلى أمور دولية، وهو ما يسميه بالـ "Spill Over Effect"، أو الأثر المتعدى للحدود الدولية.

و«جيف هينز» فقد أكد رأيه بقوله أنه «منذ تسعينيات القرن العشرين، يصعب علينا أن نجد دولة واحدة، لا يلعب فيها الدين دوراً محورياً، يكاد يصل إلى أعلى أولويات الأجندة السياسية؛ حتى فى الدول التى كانت دومًا تعرف بانتهاجها للمبادئ العلمانية. فهناك إذن إحياء عالمى للدين. وأن«هناك علاقة بين إحياء الدين فى العلاقات الدولية وبين العولمة. فمن المعتقد ومن المفترض أيضاً، وأن العولمة هى التى أدت إلى سقوط الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى.» وأن «عودة الدين إلى الساحة السياسية العالمية كان مع اندلاع الثورة الإيرانية فى عام ١٩٧٩؛ تلك الثورة التى برهنت لجميع الشعوب أن الحداثة لا يصاحبها بالضرورة ظهور العلمانية وبعد ذلك، انحسرت الأيديولوچيات الشيوعية والاشتراكية، الأمر الذى ترك الناس فى فراغ فكرى وعقلى، ليعود الدين مرة أخرى ليملأه.» وهو فى النهاية، ينتقد فرضية «هنتنجتون» و«فوكوياما» التى تقول بأن جميع الثقافات السياسية غير المسيحية فى العالم الثالث تحبذ وتؤيد

النظم السياسية غير الديمقراطية . ولا ننسى طبعًا ـ فى هذا السياق ـ أن نذكر «رودنى ستارك» و«وليام بينبريدج» اللذين قاما بإلقاء مبدأ العلمانية فى مقبرة «النظريات الفاشلة» .

أما عن كيفية تأثير الثقافة على تشكيل السياسة الخارجية ، فقد كان Ole Holsti أول من أسهم فى إنشاء وتدشين الفكر القائم على الربط بين صناعة القرار من جهة ، وبين رؤية صانع القرار وفهمه للعوامل الموضوعية من جهة أخرى . بمعنى آخر ، «هولستى» يُعتبر أول من أسهم إسهامًا كبيرًا فى المزج بين السيكولوجية واتخاذ القرار . صحيح أن «سيندر» Synder قد أشار من قبل إلى العوامل النفسية فى نظرية اتخاذ القرار ، إلا أن «هولستى» هو الذى أعطى تلك العوامل مكانة مركزية . ورؤية صانع القرار .cognitive system وتعنى cognition كل العمليات الذهنية والرؤى الذاتية لكل ما يدور ؛ ومن ثم فهى تتضمن الأيديولوچية -ideol ogy ، والقيم values ، والإدراك .perception وكان التساؤل المطروح هو : على أى مستوى ندرس ال cognitive elements أو العناصر الذهنية؟ هل على مستوى القيم؟ أم على مستوى العقيدة؟ أم على مستوى الإدراك؟ أم على مستوى الأيديولوجية؟ وللإجابة على هذا التساؤل ، اجتاز «هولستى» مرحلتين ؛ المرحلة الأولى قام فيها بالتركيز على «الإدراك» كمفتاح لاتخاذ القرار ؛ وفيها قدم «هولستى» دراسة عن الحرب العالمية الأولى ، مدللاً كيف كان عامل «الإدراك» مركزيًا فى صناعة قرار الدخول فى الحرب . أما المرحلة الثانية فقام فيها بتحويل التركيز من «الإدراك» إلى «العقيدة» (حكم ذاتى يتضمن وصف سياسة تجاه ظاهرة معينة) باعتبارها هى المستوى المعرفى الأدق والأنسب لقياس الرؤية الذهنية لصناعة القرار . وقد تم تقسيم العقائد إلى صنفين : العقائد الفلسفية -phil osophical beliefs ، والعقائد المتعلقة بالاستراتيچية والتكتيك -instrumental be liefs. ثم طُرح التساؤل : كيف يتم دراسة العقائد السياسية؟ فتم تطوير أداة لقياس العقائد السياسية من خلال code book يتضمن عشر عقائد ، نستطيع من خلالها معرفة النسق العقيدى لمتخذ القرار . يسهل عليه التنبوء باختيار البدائل لاتخاذ القرار .

والعقيدة يقصد بها الحكم الذاتى الذى يطوره الفرد أو الجماعة لتقييم ظاهرة معينة، أو تحديد السياسة الواجب اتخاذها تجاهها. وهى من أهم الموضوعات التى درست فى مجال البيئة النفسية للقائد السياسى. والسبب فى ذلك أن الفرد مجبر على تكوين عقائد سياسية كسبيل للتعامل مع البيئة المعقدة التى تحتوى على آلاف المتغيرات، وملايين المعلومات المعقدة المتناقضة. فالفرد - المعروف بطاقاته ومهاراته المحدودة وسط هذه البيئة المتناقضة - مضطر إلى خلق منطق معين لنفسه، ليربطه بهذه البيئة؛ ومن ثم تبسيط البيئة الموضوعية. باختصار، العقيدة تلعب هنا دوراً «الفلتر»، a filtering process to simplify the environment. والعقائد تتطور بوعى أو بدون وعى لدى كل فرد، بما فيه القائد السياسى. وهى تشكل نسقًا مع بعضها البعض، يُسمى النسق العقيدى. ولذا، فهناك دائمًا ميل من قبل القائد السياسى إحداث علاقة بين المعلومات وبين النسق العقيدى. ولكن ماذا لو جاءت المعلومات مضادة للنسق العقيدى؟ ماذا يفعل الرئيس حينئذ؟ تقول نظرية السياسة الخارجية أن هناك سبع أدوات: -

١ - تجاهل المعلومة . . .

٢ - البحث عن معلومة أخرى تتفق مع النسق العقيدى . . .

٣ - إعادة تفسير المعلومة المتناقضة لتتفق مع النسق العقيدى . . .

٤ - التقليل من قدر المعلومة وخطورة تعارضها مع النسق العقيدى . . .

٥ - تقسيم المعلومة المتناقضة إلى عناصر معينة. . .

٦ - الطعن فى مصدر المعلومة المتناقضة . . . .

٧ - القبول بهذه المعلومة وإحداث تغيير فى النسق العقيدى.

ولكن غالبًا ما يتم استخدام الأدوات الستة الأولى، بينما يُغض الطرف عن الأداة السابعة.

وبهذا الصدد نتساءل حول طبيعة العقائد الفلسفية والأدائية للإدارة الأمريكية وكيفية بلورتها فى رسمها لسياستها الخارجية تجاه العالم الإسلامى؟ وكذلك

السؤال حول النسق العقيدى الذى شكله الساسة الأمريكيون، وكيفية قيامهم بإحداث علاقة بين ذلك النسق وبين المعلومات التى يتلقونها بصدد قضايا العالم الإسلامى والحركات الإسلامية . . .

ثالثا: الاتجاه الذى يتناول العدوان الثقافى الأمريكى على العالم الإسلامى بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١

يؤكد هذا الاتجاه من الدراسات على أن الأبعاد الثقافية غدت واضحة فى الاستراتيجية الأمريكية التى تتم ممارساتها فى أشكال متنوعة من العدوان على المنطقة العربية والعالم الإسلامى، وترى هذه الدراسات أن ثمة أبعادًا أربعة للمتغير الثقافى : ـ

الأول: يرى أن الثقافة تتحرك جنبًا إلى جنب مع المصالح فهى تُستخدم كمحرك مع باقى المحركات الاقتصادية والعسكرية. ومن ثم تستخدم الإدارة الأمريكية البعدين ـ الثقافى (الرخو) والمادى (الصلب) ـ لضمان نجاح عدوانها على العالم. ويندرج تحت هذا التوجه من يتبنى نظرية «الثالوث الأمريكى»، ومن يرى أن التكنولوجيا والرأسمالية الأمريكية تأتى إلى المنطقة العربية والإسلامية محملة بالأفكار والمفاهيم الغربية. كما أن الثقافة تلازم بقية المصالح؛ بل يمكنها التحرك فى العلن مخفية وراءها المصالح الحقيقية .

أما الثانى: يرى أن الثقافة محرك أصيل فى الاستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية والإسلامية ؛ فهناك من يرى فى البعد الثقافى جزءًا أصيلاً وأساسيًا من إعادة رسم خريطة المنطقة العربية والإسلامية وفقًا للاستراتيجية الأمريكية. بل يراه كامنًا فى الاستراتيجية الأمريكية من قبل أحداث سبتمبر؛ وما كانت الأخيرة إلا لحظة كاشفة لتسليط الضوء على هذا البعد. و من يؤكد على أن الفجوة الأساسية بين المسلمين والغرب إنما تتمثل فى الفجوة الثقافية. و فى القلب من هذا الاتجاه ما أكده «صاموئيل هنتنجتون» من الصراع والصدام الثقافى والحضارى بين الغرب والإسلام؛ باعتبار أن البعد الثقافى له الأولوية فى التفسير؛ والذى يؤمن بوجود صراع بين الذهنية الإسلامية التوحيدية الأحادية

المنغلقة وبين الذهنية المنفتحة المؤسسة على التعددية والعلمانية. ثم يأتى بعده «برنارد لويس» و«فرانسيس فوكوياما» و«جوديث ميلر» و«جين كريكبا» و«عاموس بيرلموتر» و«مارتن كرامر» و«دانيال بابير»؛ وهم جميعًا ينتمون إلى التيار الذى يرى فى الإسلام ذاته خطرًا على الثقافة السياسية الديمقراطية.

وأما الثالث: فيرى أن البعد الثقافى ليس إلا وهمًا مصطنعًا لإخفاء المصالح الأمريكية. ومن ثم يرى أن «الصدام الثقافى» أكذوبة ليس لها أى أساس من الصحة؛ ومن ثم يركز على أنه ليست هناك مشكلة فى الثقافة الإسلامية؛ وإنما المشكلة فى الجماعات الراديكالية التى تمثل فئة قليلة من سواد المسلمين؛ و بل يرى البعض فى البعد الثقافى مجرد فخ، يحاول الغرب حفره للمسلمين للإيقاع بهم فى فكرة «الصراع»، واستنزاف جهودهم من خلالها؛ وهناك من يرى استغلال الحكومات العربية والإسلامية للحوارات الثقافية حول الإسلام والغرب؛ لكونها تصرف الشعوب عن الواقع الذى تتخبط فيه المجتمعات العربية والإسلامية؛ ولكونها تشغلها عن المعارك الداخلية الحقيقية للإصلاح، وتوجهها فى النهاية صوب معارك خارجية ثانوية. فالواقع السلبى ـ الذى هو أساس المشكلة ـ يتم ستره عن قصد من قبل الإدارة الأمريكية ومن قبل الحكومات التى تواليها، لإبراز الصورة السلبية التى ليست هى أساس المشكلة.

والرابع: يذهب إلى أن وزن البعد الثقافى فى العلاقات الدولية والاستراتيجية الأمريكية قد ازداد بعد أحداث سبتمبر؛ وأنه صار أكثر عمقًا مما كان الوضع عليه قبل ذلك؛ إذ بات الفكر الإسلامى وأحيانًا الإسلام ذاته محل هجوم وليس فقط «الأصوليين» أو «المتطرفين»..

وبالتالى فإن السؤال الذى تطرحه كتابات هذا الاتجاه تدور حول تحديد الملامح الثقافية فى الاستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية والعالم الإسلامى، وطبيعة واتجاهات هذه الأبعاد الثقافية فى تلك الاستراتيجية والجدل المثار بصددها فى دوائر صنع القرار، وما حولها من الدوائر سواء فى العالم الإسلامى أو الغربى.

رابعا : الاتجاه الذى يتناول مشاريع الإصلاح والتغيير الثقافى الأمريكى فى العالم الإسلامى

ينطلق هذا الاتجاه من الافتراض القائل بأن العمليات العسكرية الأمريكية لم تحقق الأهداف المرجوة فى العالم الإسلامى؛ الأمر الذى يحتم إيجاد حرب طويلة المدى وأوسع نطاقًا، بحيث تشمل الإرهاب بأشكاله المتعددة. وتؤمن هذه الدراسات بأن المشكلة بين الإسلام والغرب إنما هى مشكلة ذات طبيعة تاريخية، تحتاج إلى صراع طويل المدى الذى يحتاج بدوره إلى حل ثقافى، كما يفترض «مايكل أو. هانلون». وهو حل يتضمن آليات كثيرة، مثل القمم الرئاسية، والجامعات، ومراكز الأبحاث، ومراكز الإنترنت الأمريكية، وتعريف الأمريكيين على الثقافة الإسلامية «المعتدلة»، وبرامج مشتركة بين العالمين، الإصلاح التعليمى فى العالم الإسلامى. . إلخ. ومن الذين يتحدثون أيضًا على شاكلة «أو. هانلون»، «بيتر سينجر» و«ديفيد فروم» و«ريتشارد بيرل» و«ماثيو ليفيت» و«ألكسندر تى. جاى. لينون».

إن هذه االدراسات ترى بأنه هناك وسائل أخرى - غير العسكرية والاستخباراتية والقانونية - للقضاء على شبكات الإرهاب؛ وهى الوسائل «الناعمة» «الرخوة» التى تنصح هذه الدراسات بإدراجها من ضمن استراتيجية موسعة لمقاومة الإرهاب. وتشتمل هذه الوسائل على الدبلوماسية الشعبية وعلى المعونات الخارجية، كما ذكر «ألكسندر تى. جاى. لينون» فى كتابه The Battle for Hearts and Minds: Using Soft Power to Undermine Terrorist Networks. بلغة أخرى، إن هذه الدراسات تفترض وتؤمن بمحدودية القوة العسكرية الأمريكية فى مقاومة «الإرهاب»، ومن ثم بفشل الدولة القومية الأمريكية فى اقتلاع جذور «الإرهاب». وقد أدرجت بالفعل الإدارة الأمريكية - من ضمن استراتيچيتها الشاملة ضد الإرهاب - شن «حرب الأفكار» من خلال تشبيه الإرهاب بالرق والاستعباد والقرصنة والقتل الجماعى؛ ومن خلال تأييد الحكومات «المعتدلة» خاصة فى العالم الإسلامى؛ ومن خلال تأييد مسلمى

أوروبا «المعتدلين» «الليبراليين» ؛ وأخيراً من خلال استخدام دبلوماسية فعالة تعمل على تسهيل التدفق الحر للمعلومات والأفكار التى تنادى بالحرية . وأخيراً، فإن هذه الدراسات تنظر إلى «الحرب على الإرهاب» على كونها نسق معرفى، ينظر من خلاله صانعو السياسة الأمريكية إلى العالم ؛ وأنها حرب أفكار تدور بين الفكرى الأمريكى الليبرالى الرأسمالى والإسلامى الحضارى، كما كانت الحرب الباردة تدور بين الفكرى الرأسمالى والشيوعى .

وبالتالى فإن السؤال الذى يعكس محورية الأبعاد الثقافية فى الاستراتيچية الأمريكية يثير قضايا من قبيل : مشاريع إصلاح البنية الثقافية والمناهج التعليمية، والإقرار بقبول الحوار مع التيار الإسلامى . . إلخ .

* * *

• بعض المصادر الأساسية حول هذا الفصل

* Lennon, Alexander T.J. The Battle for Hearts and Minds:Using Soft Power to Undermine Terrorist Networks. CSIS, 2003.
* Kepel, Gilles. The War for Muslim Minds:Islam and the West. Cambridge:Belknap, 2004.
* Roy, Oliever. Globalized Islam: The Search for a New Ummah. New York:Columbia University, 2004.
* Hehir, Bryan and Michael Walzer. Liberty and Power: A Dialogue on Religion and U.S. Foreign Policy in an Unjust World. Brookings Institute, 2004.
* Lifting up the Poor: A Dialogue on Religion, Poverty, and Welfare. Brookings Institute, 2003.
* One Electorate under God- A Dialogue on Religion and American Politics. Brookings Institute, 2004.
* Rabasa, Angel and Sheryl Benrad and others. The Muslim World after 9/11. Rand, 2004.
* Mamdani, Mahmood. Good Muslim, Bad Muslim: America, the Cold War, and the Roots of Terror. 2004.
* Hoffman, Bruce and others. Countering the New Terrorism. Rand, 1999.
* Frum, David and Richard Perle. An End to Evil: How to Win the War on Terror. New York: Random House, 2003.
* O Brien, Peter. "Is Europe Unable to Assimilate Its Growing Islamic Minority" ULCA International Institute, May 2004.
* Lueders, Michael. "Assimilation: Eine Soziale Frage", Frankfurter Rundschau, December 2004.

* Buchta, Wilfried. "Terrorismusdebatten im Islam", Orient-Journal, Spring 2004.
* Beck, Martin. "Palaestinensische Selbstmordattentate", Orient-Journal, Spring 2004.
* Gerges, Fawaz. "America and Political Islam: Clash of Cultures or Clash of Interests", Carnegie Institute, 2002.
* O - Hanlon, Michael E. "No Long-Term Gains Against Terror Yet", Brookings Institute, Sep.2004.
* Civil Democratic Islam: "Partners, Resources, and Strategies", Rand, 2004.
* Rumsfield, Donald. "Transforming the Military", Foreign Affairs:Vol.81, No.3, 2002.
* Singer, P.W. "The U.S. and the Islamic World", Brookings Institute, 2002.
* Powell, Colin. "A Strategy of Partnership", Foreign Affairs, Jan/Feb. 2004.
* Jenkins, Brian Michael. "Redefining the Enemy: The World Has Changed, But Our Mindset Has Not", Rand, 2004.
* Hoffman, Bruce. "Redefining Counterterrorism: The Terrorist Leader as CEO", Rand, 2004.
* Singer, P.W. "The War on Terrorism: The Big Picture", Parameters, Summer 2004, pp.48 - 141.
* Telhami, Shibley. "The Ties That Bind: Americans, Arabs, and Israelis After September 9/11 ", Foreign Affairs, Mar/Ap. 2004